السنة السادسةَ عشْرةَ بعد المئتين

فيها عاد المأمونُ من دمشقَ إلى بلاد الروم [واختلفوا في سبب عودِه إليها على قولَين: أحدهما أنَّه بلغه] أنَّ ملكَ الروم[١] قَتَلَ من أهل طَرَسوسَ ألفاً وستَّ مئة رجلٍ ومن أهل المَصِّيصة، فقطع المأمونُ الدربَ [وذلك] في [شهر] جُمادى الأولى، فلم يزل مقيماً إلى نصف شعبان.

والثاني[٢]: أنَّ توفيل كتب إلى المأمون كتاباً بدأ فيه بنفسه، فعزَّ على المأمون ولم يقرأْه، وسار يقصده، فوافته رسلُ ملكِ الرُّوم بأَذَنَة، وبعث معهم بخمس مئةِ أسيرٍ من المسلمين، ونزل المأمونُ على الهِرَقْلة، فخرج إليه أهلُها على صُلح، وبعث أخاه أبا إسحاقَ [بن الرشيد] ففتح ثلاثين حصناً، ووجَّه يحيى بنَ أكثمَ من طُوَانة، فقتل وسبى وعاد إلى العسكر، وعاد المأمونُ إلى الشام وجعل طريقَه على كَيْسُوم[٣]، فأقام يومين [أو ثلاثة][٤] ثم سار إلى حلبَ وعاد إلى الشام.

و[روى الحافظُ ابن عساكر[٥] بإسناده إلى أبي القاسمِ العَبديِّ أنَّ] في هذه الغَزَاةِ[٦] وجد المأمونُ قصراً عاديًّا مبنيًّاً بالرُّخام الأبيض [ببلاد الروم وكأنَّ الصابغ قد خرج منه الآن، وعليه مِصراعان مردومان، عليهما كتابةٌ بالحِميَرية، فنُقل إلى العربية، وإذا هي: باسمك اللَّهم[٧]: [من المنسرح]

ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا دارت نجومُ السماءِ في فَلَكِ

وقد ذكرنا الأبياتَ في ترجمة الأمينِ في السَّنة الثامنةِ والتسعين ومئة. فأمر بفتح

---

(١) في (خ): وذلك لأن ملك الروم. وما بين حاصرتين من (ب). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥.

(٢) في (خ): وقيل.

(٣) في (ب) و (خ): كيسون. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥، وابن الأثير ٦/ ٤١٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في تاريخه ٢/ ٧٠٦ (مخطوط)، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب): السنة. وفي تاريخ دمشق: عن أبي القاسم العبدي قال: قال المأمون: بينما أدور في بلاد الروم وقفت على قصر عادي . . . الخبر.

(٧) في تاريخ دمشق: بسم الله الرحمن الرحيم.

المصراعَين، وإذا بقُبَّة من الرُّخام] مكتوبٌ عليها[١] بالحِمْيَرية: [من مجزوء الرجز]

لَـهْـفـي عـلـى مـخـتـلَـسِ ... فـي قـبـرِه مـحـتَـبَـسِ
قـد عـاش دهـراً مَـلِـكـاً ... مـنـعَّـمـاً بـالأُنْـس
لـم يـنـتـفـعْ لـمَّـا أتـى ... بـجـنـده والـحَـرَس

وفي القُبَّة قبر، فأمر بفتحه، ففُتح، وإذا بميِّت على سريرٍ من الذهب، وعند رأسه لوحٌ من الذهب مكتوبٌ عليه بالحِمْيَرية: [من البسيط]

الموتُ أخرجني من دار مملكتي ... فالتُّربُ مُضطَجَعي من بعد تَتْريفِ
للهِ عبدٌ رأى قبري فأحزنه ... وخاف من دهره رَيبَ التصاريف
أستغفرُ اللهَ من ذنبي ومن زَلَلي ... وأسأل اللهَ عفواً يوم توقيفي

[وقيل: إنَّ هذا القصرَ وُجد باليمن، وإنَّ الميِّتَ هو تُبَّعٌ المؤمن. والله أعلم][٢]

وفيها وثب عبدُ القُدُّوس[٣] الفِهري بمصرَ وقتل عمَّالَ المعتصم، وذلك في شعبان، فسار المأمونُ إلى مصرَ في ذي الحِجَّة.

وفيها قدم الأَفشينُ من بَرْقَة منصرفاً عنها، فأقام بمصر.

وفيها كتب المأمونُ إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ ببغداد [يأمره] أن يأخذَ الجندَ بالتكبير إذا صلَّوا الجُمُعة، وبعد الصَّلوات الخمسِ إذا قضَوا الصلواتِ أن يقوموا قياماً ويكبِّروا ثلاثَ تكبيرات، ففعل ذلك في شهر رمضان [جانبَي بغداد] في جامع المنصورِ وجامع الرُّصافة [فكانوا يفعلون ذلك عقيبَ كلِّ صلاة][٤] فقال الناس: هذه بدعةٌ ثانية.

وفيها أباح المأمونُ المُتعةَ، فقال الناس: بدعةٌ ثالثة [وسنذكر القصَّة في ترجمة ابنِ أكثم][٥].

---

(١) في (خ): عليه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في المصادر: عبدوس. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٥، والمنتظم ١٠/ ٢٧٤، والكامل ٦/ ٤١٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٠٠.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

وفيها غضب المأمونُ على عليِّ بنِ هشام، وبعث إليه عُجيفاً وأحمدَ بن هشامٍ لقبض أموالِه وأسبابه.

وفيها قدم غسانُ بن عبَّادٍ من السِّند وقد استأمن إليه بِشرُ بن داودَ المهلَّبي، وأصلح غسانُ السِّند، واستعمل عليها عمرانَ بن موسى البرمكي، فقال شاعرٌ من الشعراء:

سيفُ غسان رونقُ الحزمِ فيهِ ... وسهامُ الحتوفِ في ظُبَتَيهِ
فإذا جرَّه[1] إلى بلد السِّنـ ... ـدِ فألقى المقادَ بِشرٌ لديه
ظالماً لا يعود ما حجَّ لله مصلٌ وما رمى جَمْرتَيه
غادراً يخلع الملوكَ[2] ويقتا ... دُجنوداً تأوي إلى ذِرْوَتَيه

ثم لحق غسانٌ بالمأمون.

و[اختلفوا فيمن] حجَّ بالناس [على قولين: أحدهما]: سليمانُ بن عبدِ الله بن سليمانَ ابن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس. [الثاني:][3] عبدُ الله بن عُبيد اللهِ بن العباس بن محمد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، وكان المأمونُ قد ولَّاه اليمن [وجعل إليه ولايةَ كلِّ بلدٍ يدخله حتى يصلَ إلى اليمن] فخرج من دمشقَ فوصل إلى بغداد، فصلَّى بالناس يومَ الفطر، ثم شخص إلى الحجِّ يومَ الاثنين لليلةٍ خَلَتْ من ذي القَعدة، فأقام الحجَّ للناس.

وفيها توفِّي

إسماعيلُ بن جعفر

ابن سليمانَ بن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس، أبو الحسن.

كان من رِجالات بني هاشمٍ وأفاضلِهم، طُوالاً مَهيباً، جَوَاداً، محترماً بين أهلِه، ذا مروءةٍ ظاهرة، عاقلاً، لم يلِ له ولاية[4]، ولم يدخلْ في أمرٍ من أمور الدنيا.

(١) في (خ): قاد حرارة. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦٢٦، وفيه أيضاً: الحرب، بدل الحزم، وسمام، بدل: سهام. والظُّبَة: حدُّ السيف. القاموس (ظبي).

(٢) في (خ): عاد الخلع للملوك. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في (خ): وقيل.

(٤) كذا في (خ)، وفي تاريخ الإسلام ٥/ ٢٧٧: لم يل لبني عمه ولاية. وفي الوافي بالوفيات ٩/ ١٠٤: لم يَلِ ولاية. وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٨.

وكانت وفاتُه ببغدادَ والمأمونُ في بلاد الروم، فصلَّى عليه إسحاقُ بن إبراهيم، ودُفن بمقابر قريش، وروى عن أبيه وجدِّه[١].

[وفيها توفِّيت]

زُبيدةُ

أَمَةُ العَزيز بنتُ جعفرِ بن أبي جعفرٍ المنصور وتُكنى أمَّ جعفر.

وُلدت في زمن المنصور [وكان يرقّصها ويقول: أنت زُبدة وزُبَيدة، فغلب ذلك الاسمُ عليها، وقد ذكرناها] وهي زوجةُ الرشيد وأمُّ الأَمين.

وكان هارونُ قد شكا لعبد اللهِ بن مصعبٍ الزُّبيري أن زبيدة لا تَحمل [منه]، فقال [له]: أَغِرها؛ فإنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام كانت عنده سارةُ فلم تَحملْ منه، فحملت هاجرَ، فغارت سارةُ فحملت بإسحاق، فأَغار هارونُ زبيدةَ بمَرَاجل، فولدت زبيدةُ الأمين، وولدت مراجلُ المأمونَ في سنةٍ واحدة.

[قلت: وقد أخطأَ الزُّبيريّ؛ فإنَّ حَمْلَ سارةَ ما كان باعتبار الغَيرة، وقد ذكرناه في صَدر الكتاب.

ذكرُ طَرَفٍ من أخبارها:

قال علماءُ السِّيَر:][٢] كانت زُبيدةُ صاحبةَ المعروفِ والصَّدقات، وأبوابِ البرِّ على الفقراء والعلماءِ والمساكين وأَربابِ البيوت، ولها الآثارُ الجميلة بأرض الحجازِ ومكَّةَ والمدينة، وحفر الآبارِ والمصانع، وإنفاق الأموالِ الجزيلة في أهل الحَرَمين، وأُحصي ما أنفقت في الحجاز فكان ألفَي ألفِ دينار، وبلغت نفقتُها في حَجَّتها ألفَ ألفِ دينار.

[وروى الخطيبُ[٣] عن] إسماعيلَ بن جعفرِ بن سليمانَ قال[٤]: حجَّت أمُّ جعفرٍ

---

(١) وكذا في الوافي بالوفيات، وفي تاريخ الإسلام: عن أبيه عن جده.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وتنظر ترجمتها في تاريخ بغداد ١٦/ ٦١٩، والمنتظم ١٠/ ٢٧٦، والسير ١٠/ ٢١٤، وبقية مصادر ترجمتها ثمَّة.

(٣) في تاريخه ١٦/ ٦٢٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقال إسماعيل بن جعفر بن سليمان.

فبلغت نفقتُها في ستِّين يوماً أربعةً وخمسين ألفَ ألفِ درهم، فرفع إليها وكيلُها[١] حسابَ النفقة، فنهته عن ذلك وقالت: ثوابُ اللهِ بغير حساب.

وحبس وكيلُها رجلاً كان ينظر في ضِياعها، قد أَخذ من مُغَلِّها مئتَي ألفِ درهم، فشفع فيه الفيضُ بن أبي صالح، فلم تشفِّعْه وقالت: لا بدَّ من المال، وكان الفيضُ قد أتى إلى بابها، فلما مَنعتْ، أخذ الدَّواة وكتب إلى وكيله بحمل ما على الرَّجل إلى ديوانه[٢]، وكتب إليها صاحبُ الخبرِ بذلك، فقالت: نحن أَوْلى من الفيض بهذه المَكْرُمة، أَطلِقوا له الرَّجل، ولم تأخذْ منه شيئاً.

[وقد ذكرنا اجتماعَ المأمونِ بزبيدةَ وما جرى له معها لمَّا دخل بغداد][٣].

و [قال الصُّولي:] دخل المأمونُ يوماً على أمِّ جعفرٍ وعلى رأسها جاريةٌ من جواري الأمينِ مُغنِّية، فعرفها [المأمون] فقال: غنِّي، فقالت: أَبعدَ مولاي! فأشارت إليها زُبيدة: غنِّي، فغنَّت: [من الطويل]

هـمُ قـتـلـوه كـي يـكـونـوا مـكـانَـه ... كـمـا غـدرتْ يـومـاً بِـكـسـرى مَـرَازِبُـهْ
فـإلَّا تـكـونـوا قـاتِـلِـيْـه فـإنَّـه ... سـواءٌ عـلـيـه مـا سِـكُـوه وضـارِبُـهْ

فتغيَّر وجهُ المأمون، فقالت زُبيدة: واللهِ ما علمتُ ما في ضميرها، فصدَّقها، وعجب من هذا الاتِّفاق، فتطيَّر وأَيقن بالموت وقُربِ الأجل، فخرج إلى بلاد الرومِ ولم يعُدْ إلى بغداد.

[وهذا الشِّعر للوليد بن عُقبة في عثمان رضي الله عنه، وقد ذكرناه فيما تقدَّم، إلَّا أنَّ فيه زيادةً ذكرها الصُّولي، وهي أنَّ المأمون لم يَعُدْ إلى بغداد][٤].

وكانت وفاة زبيدة في جمادى الأولى هذه السنة، ودفنت بمقابر قريش.

---

(١) قوله: فرفع إليها وكيلها ...، ليس في تاريخ بغداد، وهو في المنتظم ١٠/ ٢٧٧.

(٢) في (ب) و (خ): ديوانها. ولعله سهو. وانظر المنتظم ١٠/ ٢٧٧.

(٣) انظر فصل: ذِكر مقتله، من ترجمة محمد الأمين في السنة الثامنة والتسعين ومئة. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

[وروى الخطيبُ[١] عن] عبد الله بن المبارك الزَّمِنِ قال[٢]: رأيتُ زبيدةَ في المنام وفي وجهها صُفْرة، فقلت: ما فعل اللهُ بكِ؟ قالت: غفر لي في أوَّل مِعْوَلٍ ضُرب بطريق مكَّة، قلت فما هذه الصُّفرةُ في وجهك؟ قالت: دُفن بين أَظهُرنا رجلٌ يقال له: بِشْرٌ المَرِيسي، زفرت عليه جهنمُ زفرةً فاقشعرَّ لها جِلدي [أو جسدي]، فهذه الصُّفرةُ من تلك الزَّفرة، [وفي رواية: فرأيتُ في وجهها سُفْعة][٣]، وأصاب مَن حولي من ذلك.

وقال القاضي التَّنوخي: إنَّ زبيدةَ لمَّا ماتت رُئيت في المنام، فقيل لها: ما فعل اللهُ بك؟ قالت: غفر لي، قيل: بحفرك الآبارَ والمصانع وفعلِك بطريق مكَّة ما فعلت؟ قالت: لا، تلك أموالٌ كانت مغصوبة، رجع ثوابُها إلى أَربابها. قيل: فبماذا؟ قالت: جلستُ يوماً وبين يديَّ جواريّ، فأخذن العيدانَ وشرعنَ يغنِّين، وإذا بصوت المؤذِّن، فقلت: ضعْن عيدانكنّ، وقلنَ كما قال المؤذِّن، فلما متُّ أَوقفني الحقُّ بين يديه وقال: يا ملائكتي، هذه زبيدةُ التي ذكرتْني في وقت لذَّتِها، أُشهدكم أنِّي قد غفرتُ لها.

[انتهت ترجمة زبيدة، والحمد لله.

فصل: وفيها توفِّي

محمدُ بن بكَّار

ابنِ بلال أبو عبدِ الله، قاضي دمشق. ذكره أبو زُرعةَ الدمشقيُّ في «أهل الفتوى بدمشق» وأَثنى عليه. قال:[٤] وشهدت جنازتَه عند منصرِفه من الحجِّ في المحرَّم سنةَ ستَّ عشرةَ ومئتين.

وكان ثقةً صدوقاً، أخذ عن اللَّيث بنِ سعد وغيره، وروى عنه ابناه هارونُ والحسن، وابنُ ابنه أبو عليٍّ الحسنُ [بن أحمدَ][٥] بن محمد بن بكار، وأحمدُ بن أبي الحَوَاري، وأبو زُرعةَ الدمشقي، وأبو حاتِمٍ الرازي، وغيرُهم.

---

(١) في تاريخه ١٦/ ٦٢٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقال عبد الله بن المبارك الزمن.

(٣) السُّفْعَة: سوادٌ في خَدَّي المرأة الشاحبة. الصحاح (سفع). وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخه ١/ ٢٨٢-٢٨٣، ٢/ ٧٠٨. والترجمة ليست في (خ).

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٦١/ ١٥٧، وتهذيب الكمال.

ومات وهو ابن أربعٍ وسبعين].

محمدُ بن عبَّاد

[ابنِ عبَّاد][١] بن حَبيب بن المهلَّب بن أبي صُفْرةَ ظالمِ بن سرَّاق. ولي إمرةَ البصرة والصلاةَ بها، وكان جَواداً ممدَّحاً.

قدم على المأمون، فقال له: يا محمد، لقد أردتُ أن أولِّيَك، فمنعني إسرافُك في المال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَنْعُ الموجودِ سوءُ ظنٍّ[٢] بالمعبود. فقال له المأمون: لو شئتَ أبقيتَ على نفسك؛ فإنَّ الذي تنفقه بعيدُ الرجوع، فقال محمد: مَن له مولًى غنيٌّ لا يفتقر. فاستحسن ذلك منه، وقال للناس: مَن أراد أن يُكرِمَني فلْيكرمْ ضيفي محمدَ بن عباد، فجاءت الأموالُ من كلِّ ناحية، فما برح وعنده منها درهمٌ واحد، وقال: إنَّ الكريمَ [لا][٣] تحنِّكه التجارب.

ووصله المأمونُ بستَّة آلافِ ألف درهم، ومات وعليه خمسون ألفَ دينار.

وقال له المأمون: يا محمد، بلغني أنه لا يَقدَم أحدٌ البصرةَ إلَّا دخل دارَ ضيافتِك قبل أن ينصرفَ في حاجاته، فكيف تَسَعُ لهذا!

وكتب إليه منصورُ بن المَهديِّ يسأله دَيناً عليه، فبعث إليه بعشرة آلافِ دينار.

وقال له المأمون: ما أكثرَ الطاعنين في آل المهلَّب! فقال: [من البسيط]

إنَّ العرانينَ[٤] تلقاها مُحسَّدةً ولا ترى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادا

وهذا البيتُ لعُمرَ بنِ لجأ[٥] في يزيدَ بنِ المهلَّب من أبيات، منها:

---

(١) في (خ): عبادة، وهو خطأ، وما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٦، والمنتظم ١٠/ ٢٧٩، والسير ١٠/ ١٨٩. والترجمة ليست في (ب).

(٢) في (خ): الظن. والمثبت من المصادر.

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٤) في (خ)، وتاريخ بغداد ٣/ ٦٤٨، والمنتظم ١٠/ ٢٨٠: الغرانيق، والمثبت من سائر المصادر، انظر العقد الفريد ٢/ ٣٢٤، والحماسة البصرية ١/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٨٣. وعَرانين القوم: سادتهم. الصحاح (عرن).

(٥) في (خ): نجا، وهو خطأ.

آلُ المهلَّب قومٌ إنْ نسبتَهمُ كانوا الأكارمَ[١] آباءً وأجدادا
كم حاسدٍ لهمُ يَعْيَا[٢] لفضلهمُ ولا دنا من مساعيهمْ ولا كادا

وقال إبراهيمُ بن عبدِ الرحمن: لمَّا احتضر محمدُ بن عبَّاد، دخل عليه نفرٌ من قومه كانوا يحسُدونه، فلمَّا خرجوا قال متمثِّلاً: [من الطويل]

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ فإنْ أَمُت فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأَوحدِ
فما عيشُ مَن يبقى خلافي بضائري ولا موتُ مَن يَمضي أمامي بمُخْلِدي[٣]
فقل[٤] للذي يبقى خلافَ الذي مضى تهيَّأ لأُخرى مِثلها فكأنْ قدِ

وكانت وفاتُه بالبصرة. وقيل: للعُتْبي: مات محمدُ بن عبَّاد، فقال: [من مجزوء الخفيف]

نحن متْنا بفَقْدِهِ وهو حيٌّ بمجْدِهِ

قدم محمدٌ بغداد، وحدَّث بها عن أبيه وعن صالح المُرِّي وهُشَيم، وروى عنه إبراهيمُ الحَرْبي والكُدَيمي وأبو العَيناءِ وغيرُهم.

(١) في (خ): المكارم. والمثبت من المصادر.
(٢) في (خ): بغياً. والمثبت من ديوانه، والوافي بالوفيات.
(٣) في (خ) مخلدي. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٨، والمنتظم ١٠/ ٢٨١.
(٤) في (خ): قل.